خطابُ الغديرِ بين الإخبارِ والإنجاز

أ.د شعلان عبد علي اليساري

كليّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة– جامعة بابل

فضاء ذياب غليم

كليّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة– جامعة بابل

Al-Ghadir Speech between Informativeness and Accomplishment

Prof. Dr. Shaalan Abdel Ali Al-Yassari

College of Education for Human Sciences - University of Babylon

Dhiab Ghalim space

College of Education for Human Sciences - University of Babylon

ملخص البحث

مثّلَ خطابُ (حديث) الغدير نقطةَ خلافٍ تأويليّ بين قراءتينِ منذ بواكير تاريخ الإسلام، هل هو إخبارٌ أم إنجاز؟ ومازال النقاش محتدمًا حوله إلى يوم المسلمين هذا؛ نظرًا لما يترتّب على هذا الخلاف من مواقف وآثارٍ كبيرةٍ في نظريةِ المعرفةِ الدينيّةِ الإسلاميّة، تفسيرًا، وعقيدةً، وفقهًا، وتاريخًا. وقد سعى هذا البحثُ لتقديم قراءة تحليليّةٍ في ضوء تداوليّة أفعال الكلام عند أوستن وتلميذه سيرل؛ للكشفِ عن المنجز بذلك الخطاب، ومحاكمة القراءتينِ المختلفتينِ فيه، وانتهى إلى أنّه فعلٌ إنجازيٌّ ذو أهميّةٍ دينيّةٍ كبيرة.

مصطلحات مفتاحيّة: خطاب الغدير، خلاف تأويلي، إخبار، إنجاز، أفعال الكلام.

Abstract

The speech (hadith) of Al-Ghadir represented a point of interpretative disagreement between two opinions since the early history of Islam. It is questionable whether it is a informativeness or an accomplishment. The debate is still raging about it to this day of Muslims; given the implications of this disagreement in terms of positions and major implications for Islamic religious epistemology, interpretation, doctrine, jurisprudence, and history. This research sought to provide an analytical reading according to the pragmatics of speech acts of Austin and his student Searle to reveal the achievement of that speech, to judge the two different opinions in it, and concluded that it is an accomplished act of great religious importance.

خطابُ الغديرِ بين الإخبارِ والإنجاز

كان خطابُ الغديرِ ومازال أهمّ مواطن الاشتباكِ والخلافِ التأويلي في التاريخِ الإسلامي بين الشيعةِ والسُّنّة، ودراتْ حوله أقدمُ الصراعاتِ التأويليّة، وأهمّها على الإطلاق[1]، ومازالَ بؤرةً للحِجَاجِ المُستدام؛ فهو عند الشيعةِ ختامُ المناقبِ العلويّةِ، وأعلاها رتبةً، وأصرحُها إنجازًا في جعلِ الإمامةِ المطلقةِ لعليّ (عليه السلام)، بعد الرسول (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، أمّا السُّنّةُ فلا يرونَ فيه سوى إخبارٍ عاديّ عن لزومِ محبّةِ عليٍّ ونصرتِهِ، ولا جديدَ في هذا الإخبارِ؛ سوى التوكيد لأحاديث نبويّةٍ سابقة، ولا مزيّة فيه؛ لأنّ النصرةَ ثابتةٌ لسائر المؤمنين.

فهاتانِ قراءتانِ تحليليّتانِ لخطابِ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) بغدير خمّ في السنةِ العاشرةِ للهجرة النبويّة، العام الذي أعلنَ فيه النبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) النفيرَ العام للحَجِّ لأولّ مرّةٍ، وكانت آخرَ حجّةٍ له أيضًا؛ لأنّه توفيّ بعد ثلاثة أشهر تقريبًا من تلك الحجة فَسُمّيتْ بـ(حجّة الوداع). وأخبارُ صدورِ تلك الخطبةِ بمنطقةِ (غدير خُم) في الثامن عشر من ذي الحجة في طريق العودة من الحج متواترةٌ[2]، لكنَّ أغلبَ المصادر الإسلاميّةِ لسببٍ ما لم تنقلْ من تلك الخطبةِ إلّا مقاطعَ قصيرةً جدًّا مع بعض الاختلافِ في ألفاظِها، على الرغمِ من التصريح بأنّها كانت خطبةً طويلةً ومفصّلةً وشاملةً لكل ما يحتاجه المسلمونَ إلى يوم القيامة![3] وهو ما يلائمُ كونها خطبةً، ويناسبُ كونها وصيّةً لنبيّ -لا نبيَّ بعده- يخبرُ قومَه بأنّه مفارقهُم. ولم تُنقلْ خطبة الغدير كاملةً إلّا في بعضِ مصادر الشيعة[4]. لكنَّ في المنقولِ من ذلك الخطاب الغديري الحافل - على وجازتِه واختزالِه- كفايةً لدراسةِ موضوعِ

الخلاف فيه، وتحديدِ دلالاتِه.

ويمكنُ الخروجُ من مجموعِ تلك المقاطع المنقولةِ على اختلافِها بالمقدارِ المُتيقّنِ صدوره من تلك الخطبةِ، والمتواتر منها في كتب الحديث، ويتمثّلُ فيما رويَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: "لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَنَزَلَ بِغَدِيرِ خُمٍّ، أَمَرَ بِدَوْحَاتٍ فَقُمِّمْن، ثُمَّ قَالَ »:كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْن، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ «ثُمَّ قَالَ »:إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ «، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقَالَ»: مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ «فَقُلْتُ: لِزَيْدٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ:مَا كَانَ فِي الدَّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَآهُ بِعَيْنَيْهِ، وَسَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ"[٥]. وقريبٌ منه ما رُويَ عن الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ، أنّه قَال: " أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَجَّتِهِ الَّتِي حَجَّ، فَنَزَلَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَأَمَرَ الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: »أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ «قَالُوا: بَلَى، قالَ:» أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ «قَالُوا: بَلَى، قَال »:فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ[٦]« . وهذا المقطع وإنْ اختلفتْ ألفاظُه باختلافِ الناقلينَ له، لكنّه اختلافٌ يسيرٌ لا يغيّر المعنى الأساسي، فيبقى المؤدّى واحدًا[٧].

لا يوجدُ في هذ المقطعِ من الخطبةِ ما اخْتُلِفَ فيه، أو يمكنُ أنْ يُختَلفَ فيه سوى المعنى الاستعمالي لكلمة (المولى) الواردة فيه؛ فهي محلُّ التجاذبِ والتقاطعِ والخلافِ في الدلالةِ والتأويل، والإنجاز؛ لذا فهي

مفتاحُ تحليلِ هذا الخطابِ، وفضِّ الاشتباكِ بين اتجاهاتِ تفسيرِهِ. لكنَّ ذلك يتطلّبُ إعادةَ قراءةِ نصِّ الخطابِ الغديري في سياقِ صدورِهِ وما حفَّ به من أحداثٍ، واتّصلَ به من كلامٍ، أي تفكيك النص وإعادة تأثيثه في ضوءِ السياقِ الموقفي والسياقِ اللغوي، مع الاستعانةِ بالقرائنِ الحافّةِ به من نصوصٍ ومواقفَ؛ وصولًا إلى أجواء الخطابِ وبيئتِهِ كالمتلقّي الحاضرِ فيها. مستفيدًا في ذلك كلّه من معطيّات الدرس التداولي لاسيما نظرية أفعال الكلام عند أوستن وتلميذه سيرل.

وقد كُتِبَ في طرقِ حديث الغدير، ودلالاتِ متنِهِ اللغوي، وتلقّي المسلمينَ له، مقالاتٌ، وبحوثٌ، وكتبٌ مفردة كثيرةٌ جدًا، وموسوعات كبيرة؛ سينتخبُ البحثُ بعضًا منها، مقتصرًا على الأهم والأكثر صلةً بموضوع الدراسةِ.

١- سياقُ خطابِ الغدير

يمثّلُ السياقُ الإطارَ العامّ الذي تجري فيه عملياتُ التواصلِ والتخاطبِ، فكلُّ استعمالٍ لغويّ لا يقعُ إلّا في سياقٍ خاصٍّ به، يلقي بظلالِهِ عليه في طريقةِ نسجِه، وتركيبِه، واختيارِ مفرداتِه، وتلقّي دلالاتِه، وإدراكِ مراميهِ؛ لذا يحضرُ السياقُ عند المتكلّمِ والمخاطَبِ قبل إلقاءِ الخطابِ، فيكون مقدّمةً مضمرةً تسهمُ في إنتاجِ الكلام من طرفِ المتكلّم، وتمهّد لفهمِه من طرفِ المخاطَب؛ لذا يخفقُ عادةً من تخفى عليه المناسباتُ والظروفُ التي أنتجَ فيه الخطاب أو الكلام، في إدراكِ بعضِ مقاصدِه، ومراميهِ. والسياقُ المقصودُ هنا السياقُ التداوليُّ العامُّ الذي يشملُ المرجعيّاتِ الفكريّةَ المشترَكةَ، والافتراضاتِ السابقةَ، والظروفَ والأحوالَ المحيطةَ بالخطاب، أو المناسباتِ المكتنفةَ بالحدثِ الكلاميّ[٨]. ومن ثَمّة ينبغي أنْ تسبقَ أيّةَ عمليّةٍ تحليل لخطابٍ ما، الإحاطةُ بمكونات

سياقِه العام، وأجواء صدورهِ الخاصّة، وليس خطابُ الغديرِ خارجًا عن ذلك؛ لذا سنقدّمُ الحديثَ عن سياقِ خطابِ الغدير، قبل الحديثِ عن متنِه اللغوي.

من جهةِ المرجعيّات الفكريّةِ والسياق الثقافي، فالمتلقّون لخطابِ الغدير مسلمون، ومن أصولِ إسلامِهم الإيمانُ بأنّ النبيّ محمّدٍ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، الذي خاطبَهم يومَ الغدير صاحب أعلى سلطةٍ روحيّةٍ، ومرتبةٍ دينيّةٍ، فهو خاتمِ الأنبياء والمرسلين، الذي يمثّلُ إرادةَ السماء؛ فلا ينطقُ إلّا بوحيٍّ من الله تعالى، ولا يُبلّغُ إلّا عنه- عزَّ وجلّ- وهو معصومٌ أمينٌ فيما يُبلِّغ؛ ومن ثَمّة تستمدُّ خطاباتُه وأحاديثُه سلطتَها، وإلزامَها منه (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، وتكون إنجازات كلامِه مستجمعةً لشروطِ الموفقيّةِ والنجاحِ، وتكون أفعالها التأثيريّة وجوبِ الطاعةِ، ولزوم الامتثالِ.

هذا هو السياق العام الذي وردَ فيه حديث الغدير. أمّا السياقُ الخاصّ فيتمثّلُ في الظروفِ والأحداثِ التي اكتنفته، ونجدُ في هذا المجالِ توقيتاتٍ، وأحداثًا، وإجراءاتٍ لافتةً؛ فزمان الخطابِ كان الأشهرَ الأخيرةَ من حياة النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، في السنة العاشرة للهجرةِ، حيث أَمرَهُ الله تعالى بدعوة الناس إلى الحَجِّ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ سورة الحَج:٢٧. وبعد إكمالِه مع المسلمينَ مناسك الحجةِ الأولى والأخيرةِ له مباشرةً، وهذا له أثره في صفاءِ النفوسِ واستعدادها لتلقّي الخطاباتِ الدينيّةِ، ومن حيث المكان فاختارَ وادي غدير خم بمنطقةِ الجُحفة بين مكّة والمدينةِ، حيث مفترق طرق قوافل الحُجّاج، وهو مكانٌ مناسبٌ لنزول القوافل، واستراحة المسافرين؛ لوجودِ الماءِ والشجرِ[٩]، والوادي من ناحيةٍ

فيزيائيّةٍ معهودة جدًا يعطي للصوت قوّةً وصدىً أكبر من المكان المفتوح؛ ممّا يسهّلُ عمليّةَ سماعِه، وتظهر أهميّةُ ذلك في زمنٍ لم تظهرْ فيه وسائلُ تكبير الصوت بعد، والخطيبُ يريدُ إلقاءَ خطابِه على آلافِ المحتشدين له.

واتّخذَ النبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، مجموعةً من الإجراءاتِ الممهّدة لإلقاء خطابِه، تمثّلتْ في التوقّفِ ليدركَه من تخلّفَ عنه من المسلمينَ، وإرجاعِ من تقدّمَ منهم، وهذا يدلُّ على أمرٍ مهمٍّ جدًّا اقتضى إرجاع القوافلِ المتقدّمةِ مع ما فيه من مشقّةٍ واضحةٍ على المسافرين. ثم أمر بتهيئةِ مكانِ الاجتماعِ، وأمر بالنداء بالصلاةِ جامعة، وهو نداءٌ كان يمثّلُ إعلانَ النفيرِ العام، والدعوةَ للاجتماعِ العام، لحدوث أمرٍ طارئٍ، للتداولِ بشأنِه، أو التبليغِ عن نزول آياتٍ، أو صدور أوامر إلهيّةٍ تجاه أمرٍ خطير. وبعد إتمامِ الصلاة، صُنِعَ له منبرٌ من أقتاب الأبل، صعد عليه وألقى خطبتَه، في يومٍ شديد الحَرّ، فقد كان الحاضرُ من المسلمين يومئذٍ يضعُ بعضَ ردائِه على رأسِه، وبعضَه الآخر تحت قدمِه من شدّة الرمضاء. ولاشكّ في أنّ هذه الإجراءات كلَّها تدلُّ على أنّ هناكَ أمرًا في غاية الأهميّة استدعاها، يُرادُ تبليغُه للمسلمينَ، وهي كافيةٌ لإثارةِ فضلولهم وتهيئة نفوسهم لمعرفةِ ذلك الأمر؛ فتلك الإجراءاتُ والاستعداداتُ لا تنسجمُ مع خطابٍ إبلاغيّ عادّي. ثمّ حفّزَ النبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) أذهانَ مخاطَبيه، وأثارَ فضلولهم أكثر عندما أخبرهم قائلًا »:كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ«، وهو بذلك ينعى نفسَه، ملمّحًا أنّ خطابَه هذا هو خطابُ مودِّعٍ، مشرفٍ على الرحيلِ؛ وكل من يكونُ في هذا الموقفِ لابدّ أن يوصي بأهمِ ما يعنيه، فكيف إذا كان الراحل هو من لا نبيَّ بعده؟! وبتسييق هذا الخطاب في سياقِ الوداعِ للأمّة، يكونُ قد شحذَ الذهنَ بأقصى درجات

الانتباه، ورفعَ بذلك درجةَ الوعي بأهميّة مضامينِه[١٠].

وربما يقفزُ إلى الذهنِ سؤالٌ مفاده لماذا لم يلقِ النبيُّ خطابَه في مكّة حيث يجتمعُ الحُجّاج، مادامَ الأمرُ مهمًّا؟ ولهذا السؤال جوابانِ: جوابٌ غيبيٌّ وهو أنَّ النبيَّ أعلم بالمكانِ المناسبِ؛ لأنّ اللهَ تعالى أمرَه بالإبلاغِ في هذا المكان. والجواب الثاني يمكن تلمّسُه ضمن المعطياتِ المحسوسةِ المتوفّرة، ومراعاةِ الظروف الطبعيّة، وبملاحظة ذلك يمكنُ تعقّلُ تأجيلِ ذلك الخطابِ الإبلاغي إلى ما بعد نهاية الحَج؛ لأنّ النبيَّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) كان مشغولًا بتعليمِ المسلمينَ مناسك الحَجّ؛ لأنّها المرّة الأولى التي يحجّون معه والأخيرة، ومن شأنِ ذلك الإبلاغِ أنْ يربكَ الأوضاعَ، ويشتّتُ الأذهانَ عن ضبطِ مناسكِ الحَجّ، وتوجّه الحُجاج إلى الله تعالى من جهة، وتزدادُ فرصةُ ضياع ذلك الإبلاغِ بسبب انشغالِ المسلمينَ بتعلّمِ مناسك الحَجّ من جهةٍ أخرى.

٢- التحليل التداولي لنصّ خطابِ الغدير

بعد الإحاطةِ بالسياقِ العامِّ والخاصِّ الذي احتضنَ خطابَ الغدير، نكون قد قطعنا نصفَ الطريقِ إلى تحديدِ دلالاتِ نصّهِ ومغزاهِ، فلم يبقَ إلّا النظرُ بعينٍ تداوليّةٍ فاحصةٍ إلى نسيج نصِّه، ومعاني ألفاظِه؛ للوصولِ إلى المعنى الملائم لذلك السياق. وقد تقدّم أنّ المقطع المُجتزَأ من حديث (خطاب) الغدير، المنقول إلينا في أغلب المصادر الإسلاميّة، ناصعُ البيان وواضحُ الدلالة، ولم يُختلف فيه إلّا في تفسيرِ كلمةِ (المولى)، لكنّه اختلافٌ عميقٌ يغيّرُ المسارَ التأويليّ للحديث، ويترتّبُ عليه تغيّرُ الموقفِ الديني والسياسي تغيّرًا كبيرًا.

قلنا إنّ ذلك الخلاف أوجدَ القراءتينِ التأويليّتينِ المعروفتينِ في

تاريخ الإسلام، قراءة ترى في خطابِ الغدير إنجازًا تداوليًّا يقتضي نقلَ في ضوءِهِ النبيُّ محمدٌ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، ولايتَه العامّةَ على المسلمينَ في شؤونِ الدِّين والدُّنيا للإمام عِليّ (عليه السلام) من بعد وفاتِه. وقراءة لا ترى فيه سوى تأكيدٍ للزومِ محبّةِ عِليّ (عليه السلام) ونصرتِه. ولأجل معرفةِ سلامةِ القراءتينِ وصوابِهما؛ سنعرِّضهما لثلاثةِ اختباراتٍ: الاختبار المُعجمي، والاختبار السياقي، والاختبار في ضوءِ النصوصِ الحّافةِ بالخطاب:

أ- الاختبار المعجمي: المَولى والأَوْلى والوَلِيُّ ترجعُ إلى مادة (وَلِيَ)، التي دلّت هي ومشتقّاتها على معانٍ عديدةٍ بحسب سياقِ الاستعمالِ مثل: ابن العم، والناصر، والمُحب، والجار، والحليف، والأوْلى بالأمر، والعبد، والمُعْتَقُ، والسَّيِّد، والمُنْعِم، والمُنْعَم عَلَيه، وكُلُّ مَن وَلِيَ أمرًا أَو قَامَ بِهِ فهو مَوْلاهُ وَوَلِيُّه[11]. فمن الناحية المعجميّة الصرفة فالقراءتانِ التأويليتانِ سليمتانِ؛ لأنّهما لم يخرجا عن المعاني المعجميّة المرصودة لكلمَتَيْ (الولي، والمولى). لكنّ هذا النظر المعجمي غير كافٍ لتحديد المعنى الاستعمالي للكلمة؛ لأنّه من دون النظرِ في السياقِ اللغوي، والمقام التخاطبي، يبقى الباب مفتوحًا لكل تلك المعاني المتعدّدة، والسياق - بمعناه التداولي- هو من يعيّن واحدًا منها، مستبعدًا باقي قائمة الاحتمالات[12]؛ لذا ننتقلُ إلى الاختبارِ السياقي لمعرفةِ المعنى المقصود من (المولى والولي) في حديث الغدير، ومعرفة صوابيّة القراءتينِ المذكورتينِ.

ب- الاختبار السياقي: أوّلُ ما ينبغي أنْ نختبرَ به سلامةَ التأويلينِ للمنجزِ بمقولةِ: (من كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه)، هو انسجامُهما وملاءمتُها لسياقِ الاستعمالِ الذي وردت فيه لفظًا ومقامًا؛ رعاية لمبدأ المناسبة (الصلة)؛ ولأنّ السياقَ من أقوى القرائن في

تعيين المعنى، إعمامًا وتخصيصًا، أو إطلاقًا وتقييدًا، أو حقيقةً ومجازًا. وفي هذا المجالُ يظهرُ أنّ القراءةَ التأويليّةَ الملائِمةَ للسياق هي القراءةُ التي ترى أنّ مقولةَ: (من كنتُ مولاهُ، فهذا عليٌّ مولاه)، هي فعلٌ إنجازيٌّ نقلَ بمقتضاه المتكلّمُ (النبيّ) ولايتَه العامّة على المسلمينَ إلى المعيّن بالاسمِ، وإشارةِ اليدِ (عليّ)؛ لأنّ مراجعةَ السياقِ الذي صدرَ فيه خطابُ الغديرِ بالتفصيلِ الذي تقدّمَ يأخذنا مباشرةً إليها؛ فالنبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، بعد أنْ جمعَ قومَه في ذلك الحرِّ الشديدِ ممن كانوا معه في الحَجّ، وأرجعَ من تقدمَه منهم، على ما فيه من المشقّة، فخطبَ فيهم و أخبرهم أنّه على وشكِ مغادرة الحياة قائلًا »:كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ«، فخطابه خطابُ وصيّةٍ ووداعٍ، وقد جرت عادة العقلاء والحكماء والزعماء إذا بانَ لهم دنوُّ الأجلِ، وقربُ الرحيل أنْ يجمعوا قومَهم، ويوصون بأهمّ ما يشغلهم من مصير الأمور بعدهم، وجرت عادةُ الزعماء على تسميةِ من يخلفهم على إدارةِ أمورِ الناسِ بعدهم، بل الإنسان العادي إذا كان عاقلًا يحرصُ على مستقبلِ أولادِه وأسرتِه من بعدِه، فيتّخذُ من الإجراءاتِ، ويتركُ من الوصايا ما يضمنُ صلاحَهم، ويمنعُ تنازعَهم، ولا يتركهم هملًا في مهبِّ ريح الحوادثِ، وعوداي الزمن. فكيف إذا كانَ نبيًّا رسولًا يعلمُ أنّه على مقربةٍ من الموتِ، ولا نبيّ بعده أبدًا؟!

وفاقًا لهذا يكون خطابُ الغديرِ منسجمًا تمامًا مع سياقِهِ ومقامِه، إذا أوصى النبيُّ بكلّ ما يحفظُ كيانِ أمّتِه، ويصونُ رسالتِه- فالخطبة بحسب ما وصفوا كانت شاملة- ثم أوصى أوصاهما بالقرآنِ وبأهلِ بيته، ثم خصّ عليًا من أهل بيتِه، بأن نصبه لهم ليديرَ شؤونهم، ويرجعونَ إليه في أمورهم، وله عليهم حق الطاعة والامتثال، فرفعَ يدَه إشهارًا وإعلانًا بذلك قائلًا

لهم ما مؤدّاه: نقلتُ ولايتي عليكم إلى عِليّ (عليه السلام) من بعدي. فتأمّل الخطابَ باختلاف نقلِه تجده منسجمًا مع قلنا: " فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: »أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ «قَالُوا: بَلَى، قالَ:» أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ «قَالُوا: بَلَى، قَال »:فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ«.

وبملاحظةِ السياقِ اللغوي يكونُ المعنى أكثر وضوحًا وانسجامًا؛ لأنّه تضمّن استفهامًا تقريريًّا: »أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟«؛ لأنّه معلومٌ لديه، وغايته التّحفيز والتهيئة لما بعده، فعندما يُقرُّون بألسنتهم بما سألَهم عنه، فذلك يزيد الأمرُ رسوخًا في أنفسِهم، ويحقّق المستوى الأعلى من الإقناع، بما سيأتي من الكلام، فيسلّموا به؛ لأنّه جعله مقدّمةً موجبةً لنتيجةٍ، وهم سلّموا بالمقدّمةِ فلا يسعُهم إنكارَ نتيجتها. وفي ذلك أيضًا إشراكٌ للمخاطبين تفاعليًّا في التخاطبِ. وهذ الذي أقرّوا به هو السلطةُ الدينيّة العليا، والولاية الكبرى في أمور الدين والدنيا، وهو اقتباسٌ أو تناصٌّ من قولهِ تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ سورة الأحزاب: ٦. [وقد فُسِّرت هذه الأولويّة بأنّه أحقّ بالمؤمنين من أنفسهم في كلّ شيءٍ من شؤون دينهم ودنياهم، وحكمه نافذٌ فيهم، مقدّمٌ على حكمهم، ولا يسوغ لهم مخالفته، بل يجب عليهم أنْ يبذلوا أنفسهم دونه، وبها يفتدونه[١٣]. وهذه الولاية والأولويّة التي كانت للنبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، هي نفسها نقلَها إلى عليّ (عليه السلام)؛ فقوله (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه): »من كنتُ وليّه، أو مولاه، فهذا وليّهُ أو مولاه«، فيه علامتانِ على نقلِ الولايةِ العامّة للنبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، إلى عليّ (عليه السلام)، هما الفعل (كنتُ)، والتفريع بالفاء (فهذا). فولايةُ عليّ

(عليه السلام) على الأمّةِ متفرعةٌ على الولايةِ التي كانت ثابتةً للنبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه). فهناك شيٌ لم يكن ثابتًا لعليٍّ (عليه السلام) من قبل، انتقلَ إليه بموجبِ هذ المرسومِ النبويّ الرسمي. ولا يوجدُ ما لم يكن ثابتًا لعليّ (عليه السلام)، قبل هذا الخطابِ سوى هذه الولايةِ العامّةِ في شؤون الدّين والدّنيا، التي يُستثنى منها الخصوصيّاتُ النبويّةُ المعلومة سلفًا للمخاطبينَ، إذ لا نبوة ولا رسالة جديدة. ويؤيّدُ أنّ ما جرى في الغدير هو عمليّةُ نقلٍ للولايةِ لعليّ (عليه السلام)، وثبوتُ منقبةٍ لم تكن ثابتةً له من قبلِ خطاب الغدير، تهنئةُ المسلمينَ له بعد الانتهاء من خطبة الغدير، لاسيّما تهنئة عمر بن الخطّاب التي تضمّنتِ الإشارةَ إلى هذا النقل، فقد ورد أنّه قال: " هنيئًا يا ابنَ أبي طالب؛ أصبحتَ وأمسيتَ مولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ"[١٤]. فأصبح وأمسى مولى للمؤمنين بذلك المرسوم النبويّ في الغدير، بدلالة (أصبح وأمسى)، فاستحقّ التهنئةَ على هذا المنصبِ الجديد، والمقامِ الرفيعِ.

أمّا القراءةُ التأويليّةُ الثانية فتواجهُ مشكلاتٍ دلاليّةً وتداوليّةً تمنعها من الانسجامِ والملاءمة مع ما تقدّم من تفاصيلِ أجواء خطابِ الغدير، وأحداثِه، وإجراءاتِه، وسياقِه اللغوي؛ لأنّها تُؤوّل (المولى) هنا إمّا بولاء الإسلام العام بين المؤمنينَ فلا فضيلةَ في ذلك[١٥]، وإمّا بالنصرةِ والمحبّةِ لكنّها النصرةُ الظاهرةُ والباطنةُ، أي إخبار عن أنّ باطن عِليّ وظاهره في نصرة الدين والمؤمنين سواء، فيكون المعنى (من كنتُ محبوبًا عنده وناصره فعليٌّ كذلك)[١٦]. وهذا يخالفُ ولا ينسجمُ ما بيّناه من قرائنِ السياقِ اللغوي القاضية بوجود نقلٍ للولاية والسلطة من النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، إلى عليّ (عليه السلام)، وعلى ذلك لا معنى لمبايعة الحاضرين

له وتهنئتهم بإنْ أصبح مولىً أو وليًّا لكل مؤمنٍ ومؤمنةٍ كما قال عمر بن الخطّاب! فضلاً عن أنّ هذه المعاني التي ذكروها لمعنى الولاية هي تخصيصٌ من دون مخصّصٍ، وتأويلٌ من دون دليلٍ، بل الأدلة على نفيها؛ لأنّ وجوبَ محبّةِ عليّ ونصرته معلومانِ من أدلةٍ كثيرةٍ منها آية المودة، وحديث (لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)، ومنها حديث خيبر (لأعطينَ الرايةَ غدًا رجلًا يفتح اللهُ على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ)، وغيرها مما مرّ ذكر بعضه، بل ذلك لا يناسبُ كلّ تلك الإجراءاتِ والاحتفاءِ بالخطابِ، أيجمعُ النبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، المسلمينَ وهم متعبون، ويرجعُ من تقدّم بالسير منهم تحت حرارةِ الشمسِ الحارقة، ويدخلهم في حالةٍ من الاستنفارِ والترقبِ وينعى لهم نفسَه؛ ويطلبُ منهم الإقرار، ليخبرهم في نهاية المطافِ أنّه محبٌّ لعلي أو ناصرٌ له[١٧] ؟!

وربّما لدلالةِ حديثِ الغدير الناصعةِ تحاشى أحمد بن حنبل الردَّ على من سأله عن تفسيرِه، فقال: " لا تكلّمْ في هذا، دعِ الحديثَ كما جاء"[١٨]. وقد جرت محاولاتٌ عديدةٌ لتسويغِ القراءةِ التأويليّةِ الثانيةِ، ظلّت كلّها تواجه المشكلات التي بيّناها، فقالوا إنّ المولى لا تعني أولى؛ لذا أثبتَ النبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) لنفسِه بأنّه أولى، ولم يثبت ذلك لعليّ (عليه السلام)، وبذلك لم تنقلُ الولاية التي للنبي (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، لعليّ (عليه السلام)[١٩]، لكنّ ذلك مردود بوجود استعمالاتٍ تأتي بها مولى بمعنى أولى، منها قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ [سورة الحديد: ١٥]. فقد فسّرها بعضُ علماء اللغة والتفسير بمعنى (أولى بكم)[٢٠]. وادّعى ابنُ تيمية أنّه لو أُريدَ الإمارة لقال: (والٍ على كل مؤمنٍ)؛ لأنّها تدلّ على الإمارة، أمّا المولى فتدلّ على الموالاة

ضد المعاداة[٢١]. وهذا القول مردودٌ بما ثبت بمجيء المولى بمعنى الولي في استعمالاتٍ كثيرةٍ، منها قول أبي عبيد الهروي في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الذين آمَنُواْ﴾ [سورة محمد: ١١]: " أي وليّهم والقائم بأمرهم، وكلُّ من وليَ عليك أمركَ فهو مولاك"[٢٢]. وقول ابن الأثير: " كلُّ من وليَ أمرًا أو قامَ به فهو مولاه ووليّه"[٢٣].

ويرد عليه أيضًا أنّ مدّعى القائلين بحديث الغدير ليس الإمارة السياسيّة، بل الولاية العامّة كما تقدّم، ويبدو واضحًا أنّ ممّا يحولُ دون تلقي دلالة حديث الغدير الناصعة، الافتراضاتُ الذهنيّةُ المُسبقة؛ إذ للافتراض المسبق أهميّةٌ كبيرةٌ في الفهم، والتأويل، والتواصل في ضوء ما قرّره المنهجُ التداوليّ.

لذا تجدُ المرتابَ في دلالةِ حديث الغدير يكررُ السؤالَ، والإشكالَ القائل:" لِمَ لَمْ يقلِ النبيُّ-صلّى اللهُ عليه وآله- بلفظٍ واضحٍ صريحٍ: (جعلتُ عليًّا خليفتي عليكم من بعدي؟) أو كما يقول ابن تيمية (جعلتُ عليًّا واليًا). الافتراضُ المسبقُ الذي ينطلقُ منه هذا السائلُ، في سؤالِهِ، هو أنّ الخلافةَ المجعولةَ في الغدير هي الخلافة السياسيّة، أو الحكومة السياسيّة، لذا يبحثُ عن لفظٍ صريحٍ في هذا المعنى، ويرى أنّ لفظ (المولى)، لا يدّلُ صراحةً عليه. لكنّ ظاهر الحديث بما فصّلنا، ومدّعى المؤمنين بحديث الغدير، أنّ الرسولَ المُخاطَبَ بآية التبليغ، قصدَ نقلَ ولايتَه العامّة المجعولة على المؤمنين، في شؤون الدين والدنيا إلى عليّ (عليه السلام)؛ لذا جاءت البلاغةُ النبويّةُ الصادرةُ عن مقام جوامع الكلم مطابقةً للغرض المَسوقِ له الكلام، ومناسبةً لما يقتضيه المقام؛ فقال (صلّى اللهُ عليه وآله) بعد أن طلبَ من المسلمين المحتشدينَ له، الإقرارَ على

أنفسهم، بأنّه أولى بهم من أنفسهم، فأقرّوا له جميعًا بذلك، فقالَ حينها: (من كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه). وهذه كلمةٌ جامعةٌ معبرّةٌ عن المقصود أكثر من أي كلمةٍ أخرى- بحسب ما نقلنا من آراء المفسرين واللغويين في معنى المولى والأَوْلى- حتّى من كلمةِ (خليفتي)؛ لأنّ خليفتي قد يُظنُ أنّ المقصودَ منها الحاكم السياسي، كما ظنَّ الكثيرون ذلك فعلًا، فراحوا يبحثون عن كلمةٍ صريحةٍ في ذلك[٢٤]. ولمّا تبيّنَ - بما تقدّمَ من تفصيل- دقّة التعبير عن الولاية العامة أو الإمامة الكبرى بالمولى، يتّضحُ ضعفُ ما قيلَ من عدم دلالتها على المدّعى[٢٥].

ت- الاختبار في ضوء النصوصِ الحافّة بالخطاب:

إذا أردنا أنْ نعيدُ اختبارَ سلامةِ القراءتينِ التأويليتينِ لخطاب الغدير، فيمكنُ أنْ نستعينَ بالنصوصِ القرآنيّة والحديثيّة التي تحفُّ بخطاب الغدير أو التي جاء في سياقها الثقافي الخاص، التي من شأنها أنْ تلقي أضواءً كاشفةً على المعنى التداولي للنص، وهذه النصوصُ كثيفةٌ جدًّا تتمثّلُ في الآيات القرآنيّة التي نزلت بحقّ عليّ (عليه السلام)، أو الأحاديث النبويّة في مناقبِه التي استعرضنا بعضًا منها. ونختارُ اختصارًا منها آيةَ البلاغ، هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]. فقد أجمعتْ مصادرُ الشيعة على نزولِها في يوم الغدير، ووافقتها بعضُ مصادرِ الفرقِ الإسلاميّةِ الأخرى[٢٦]. والنظرُ في نسيجها النصّي، ودلالتها التخاطبيّة، يشي أنّ المطلوبَ إبلاغه للمسلمينَ على درجةٍ عاليةٍ من الأهميّة والخطورة، فقد افتتحت الآيةُ بالنداء بصفة الرسول ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وفيه إشارةٌ إلى الصفة

الرسميّة للرسول، وكون الأمر يتعلّقُ بالرسالةِ، ثم خوطب بفعلٍ إنجازيّ مباشرٍ وهو الأمر الصريح ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، والتبليغ هو من الوظائف الجوهريّة للرسول، وإلى هذا الموضع من الخطاب، تجلّى أنّ المطلوب من الرسول هو تبليغُ أمرٍ من جوهر الرسالةِ الإسلاميّة، ومن وظائف الرسول الأساسيّة. وبعد الأمر هُدِّد أو حُذِّر الرسولُ بلهجةٍ شديدةٍ من عاقبة عدم الإبلاغ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وهنا تتجلّى عظمةُ ذلك التبليغ؛ إذ جعل عدم تحقّقه تبليغه عدم تحقّق تبليغ الرسالة الإسلاميّة برمّتها قرآنًا وسنّةً، وبما اشتملا عليه من معارف عقائديّة، وشرعيّة، وأخلاقيّة، فكلّها بمنزلة العدم إذا لم يقعْ ذلك التبليغُ! وهذا يعني أنّ كلّ ما قامَ به رسولُ الله (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) من تبليغ وتعليم وتزكيّة وما تحمّله من مشاقٍّ وأذىً، كأنّه عدمٌ، ولم يقع منه شيءٌ! فمن ثمّة يمكن أن تتعرّف على ذلك التبليغ المأمور به، من آثاره، وعواقب عدم وجوده.

وهذا التهديد والتحذير لا نجدُ له نظيرًا في القرآنِ الكريم سوى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥]. ويبيّن خطورة هذه المهمّة التبليغيّة للرسول من أنّ اللهَ يوعدُهُ بالعصمةِ والحفظِ من الناسِ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. فهو أمرٌ يتخوّفُ من الناس عدم تقبّله. ويذكرنا هذا الأمرُ والوعدُ بالأمرِ والوعدِ اللذينِ خوطبَ بهما الرسولُ في السنين الأولى من عمر الدعوة الإسلاميّة، فقالَ تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٤-٩٥.] إيذانًا ببدء مرحلةٍ جديدةٍ من مسيرةِ الدعوة الإسلاميّة،

تحوّلت فيها من المرحلة السريّة إلى العلنيّة الإشهاريّة. ومثل هذا الإعلانِ سيكونُ محفوفًا بتحدّيات الرفض والتنكيل والاستهزاء؛ لذلك وعدَ اللهُ رسولَه أنْ يكفيه ذلك. ومن هذهِ المقاربة القائمة على استدعاء خطابٍ ذي سماتٍ لغويّةٍ مشابهةٍ لخطاب آية التبليغ أو الإبلاغ، يمكنُ أنْ لهما ظروفًا وغاياتِ وتحدّياتٍ متشابهة، وهما على قدرٍ عالٍ من الأهميّة؛ إذ صُدّر كلٌّ منها بأمرٍ مباشرٍ موجّهٍ للرسولِ بالإبلاغِ الإشهاري بما أمره الله أوما أنزّلَ إليه، ومع وجود وعدٍ له بالكفايةِ والعصمةِ ممن لا يروقُ لهم ما سيصدعُ به، أو يُبلّغ به؛ ولمّا كانت السمات اللغويّة مشابهة بينهما، وعرفنا أنّ الخطابَ الأوّل جاء بهذه السمات والخصائص ليناسبَ بدء مرحلةٍ جديدةٍ في مسار الدعوة الإسلاميّة (المرحلة العلنيّة)، فليس من المجازفةِ والزيغ القول أنّ خطاب آية التبليغ جاء مناسبًا للإيذان ببدء مرحلةٍ مصيريّةٍ جديدةٍ.

وإذا بحثتَ في المدونات التفسيريّة عمّا قيل من أسباب نزولٍ لآية التبليغ، فلن تجدَ ما يناسبَ تلك السمات اللغويّة والأسلوبيّة التي تقدّم تفصيلها، سوى ما ذكرتهُ المصادرُ بأنّها نزلت في يوم الغدير آمرةً النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) بتبليغ المسلمين بقرب بدء مرحلةٍ جديدةٍ من عمر الدعوة الإسلاميّة، يكونُ عليٌّ قائدًا مسيرتها؛ لأنّ الرسولَ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، أوشك على إنهاء مهمّته، وشارفَ على مغادرة هذه الحياة، لذلك نعى النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) نفسَه في خطبةِ الغدير، ونقلَ ولايتَه عليهم في إدارة شؤونهم العامّة إلى من يمثّله، وهو علي (عليه السلام)؛ ولأنّ هذا التبليغ بهذه الأهميّة القصوى، ناسبَه الأمرُ والتحذيرُ الشديدينِ في الآية الكريمة؛ ولأنّها بدايةً لمرحلةٍ جديدةٍ ناسبها الإشهارُ والإعلانُ إيذانًا بذلك؛ ولأنّ

لكل مرحلةٍ تحدّياتها؛ ناسبها الوعدُ بالحماية والعصمة من الناس، وإلّا لا معنى للتخوّف إذا كان الأمر إبلاغًا لحكم شرعيّ، أو إرشاد أخلاقيّ. وهذا منسجمٌ مع إبلاغ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) الناسَ أنّ الولايةَ والقيادةَ والخلافةَ لعليّ (عليه السلام)؛ لأنّ بعضهم سيرى في ذلك محاباةً لابن عمّه[٢٧]، ويرى آخرون حرمانًا من ذلك المنصب، وهم مازالوا قريبي عهدٍ بالجاهليّة[٢٨].

وبهذا تكون القراءةُ التأويليّةُ التي ترى أنّ خطابَ الغدير خطابُ تنصيبٍ ونقلٍ للولاية العامّة، هي القراءةُ المناسبةُ والمنسجمةُ مع النصوص الحافّة بها، دون القراءة الأخرى. وبذلك تبيّن أنّ مؤدّى حديث الغدير هو الإنجاز (الإنشاء)، لا الوصف(الإخبار)، وإذا أردنا أن نصوغَ ذلك بمصطلحاتِ نظريّة أفعال الكلام، فما وقعَ بقولِ النبيّ لعليّ (عليهما الصلاة والسلام)، هو إنجازٌ بالقولِ، ينتمي إلى التنفيذيّاتِ بحسب تصنيفِ أوستن، والتصريحيّاتِ (الإعلانيّات) بحسبِ تصنيفِ سيرل؛ لأنّ فيه تنصيبٌ وتعيينٌ معلنٌ، وهو إنجازٌ جامعٌ لشروط الموفقيّة؛ لتحقق الإجراءات والمراسم الشعائريّة الكبيرة، ووجود صلاحيّة دينيّة مؤهّلة لمن قامَ بالفعلِ الإنجازي (التنصيب)، وهي سلطة الرسول وصلاحيّته الدينيّة الممنوحة من الله تعالى. وهذا الصنفُ من الأفعالِ الكلاميّةِ غايته إيجادُ تغييرٍ في العالم الخارجي ليطابق القول، فيكون القول مطابقًا للعالم الخارجي، وهو ماعبّر عنه سيرل باتجاه المطابقة المزدوج[٢٩]. وهذا هو ما حصلَ بمقولة (من كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه)، فأصبح عليًّا مولىً أو وليًّا للمسلمين له مثلَ ولاية النبي (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) عليهم، وهو إنجازٌ كلاميٌّ عظيمُ المنزلة والأثر، فطابقَ بذلك

المحتوى القضوي لمقولة النبي (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه). ثم أرادَ النبي (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، لكنّ هذا الفعلَ الإنجازيَّ واجه مشكلةً في فعله التأثيري المترتّب عليه؛ بسبب تخلّف كثيرٍ من المسلمين لظروفٍ سياسيّة عن امتثاله، والتزمَ الأقلُّ منهم بذلك، وهذه مشكلةٌ تقع خارج نطاق الفعل الكلامي، وخارج مسؤوليّة منجز الفعل؛ لأنّها مرتبطةٌ باختيار المتلقّي، والمخاطَب، وهو من يتحمّلُ مسؤوليّةَ عصيانه، وإليه ترجعُ منافعُ امتثالِه.

الخاتمة والنتائج:

في ختامِ هذه الجولةِ التداوليّةِ في رحابِ خطاب الغدير، وتقليب النظرِ بكلّ ما يتعلّق به متنًا، وسياقًا، انتهى البحثُ إلى مجموعةٍ الأمور التي مرَّ تفصيلها في متنِ البحث، وهذه خلاصتها:

١- مثّلَ خطابُ (حديث) الغدير أهمَّ نقاط الخلاف التأويلي في تاريخ الإسلام، ومازال كذلك. وقد تجلّى ذلك الخلافُ في قراءتينِ تأويليّتينِ متضادتينِ، قراءة ترى فيه إنجازًا نقلَ فيه النبيُّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) ولايتَه المطلقة على المسلمينَ إلى عليّ (عليه السلام). وقراءة لا ترى فيه سوى إخبارٍ عن محبّة عليّ ونصرته. ونقطة الخلاف تكمنُ في تفسير المعنى الاستعمالي لكلمة (المولى) الواردة في خطبة الغدير.

٢- لم تنقلْ أغلبُ المصادر الإسلاميّة من خطبة الغدير سوى مقاطع قصيرة جدًّا، بالرغم من تصريحها بأنّها خطبة طويلة وشاملة! وهذا أمرٌ يثيرُ الريبة والاستغراب. ولم ترد الخطبةُ كاملةً إلّا في بعض المصادر الشيعيّة.

٣- إنّ فحصَ سلامةِ القراءتينِ معجميًّا، أظهر سلامتهما؛ لأنّهما لم يخرجا عن المعاني المعجميّة المذكورة (للمولى). لكنَّ اختبارهما بمنظور سياق الذي وردت فيه خطبة الغدير،

يُظهرُ انسجامَ القراءةِ الإنجازيّةِ معه، وبُعدَ القراءةِ الخبريّةِ عنه؛ فتوقيت الخطبة، ومكانها، والإجراءات اللافتة، من إرجاع من تقدّم، وانتظار من تأخّر، والنداء بنداء الطوارئ في الإسلام، وهو الصلاة جامعة، وإلقاء الخطبة في ذلك الجو الحار جدًّا، وإعلان النبي أنّ خطابَه خطاب مودّعٍ ومشارفٍ على الرحيل من الحياة؛ كلّها لا تناسبُ الإخبار عن قضيةٍ معروفةٍ لهم سابقًا، وهي حب علي ونصرته.

٤- يرجّحُ السياقُ اللغوي القراءةَ الإنجازيّةَ أيضًا؛ لأنّه تضمّن سؤالَ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) لهم (ألست أولى بكم من أنفسكم)، وإقرارهم بذلك، فلمّا أقرّوا على أنفسهم بولايته المطلقة، نقلَ تلك الولاية إلى عليّ (عليه السلام): (من كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه). ودلّ على النقل الفعل الماضي (كنتُ)، والتفريع عليه بالفاء (فهذا عليّ مولاه). ودلّ على ذلك النقل صيغة التهنئة المنقولةِ عن بعض الصحابة (هنيئًا يا ابنَ أبي طالب؛ أصبحتَ وأمسيتَ مولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ). فلو كان إخبارًا عن معنى ثابتٍ لعلي سابقًا، لا معنى للتهنئة، ولا للفظ (أصبحت وأمسيت)، إذن فهذه كينونةٌ جديدةٌ مختلفةٌ عمّا قبل صدور حديث الغدير.

٥- أيدّت النصوصُ الحافّةُ بحادثة الغديرِ القراءة الإنجازيّة، ومنها آية التبليغ، التي جاءت أمرةً بلفظٍ مباشرٍ، وبصيغة تهديدٍ غير معهودة، إذ جعلت عدم إبلاغ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، بما تأمر، مساويًا لعدم إبلاغ الرسالة الإسلاميّة برمتها! وفيها تعهّدٌ بعصمة النبي (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، من الناس بعد تبليغه له، وهذا يدلُّ على أن الإبلاغ الذي تأمرُ به، فيه ضمانٌ لأصل وجود الرسالة، وفيه ولايةٌ مفروضة على الناس، وليس أمرًا عاديًّا، وهذا هو جوهر القراءة الإنجازيّة.

٦- جرت محاولاتٌ للتشكيك في دلالة (المولى) التي وسمَ به الحديثُ عليًّا (عليه السلام)، على الولاية المطلقة في شؤون الدين والدنيا، وتبيّن ضعفها، منها عدم دلالتها على (أَوْلى بكم)، وأثبت البحثُ دلالتها على ذلك عبر متابعةِ الاستعمال القرآني، المعنى المعجمي لها.

٧- إنّ خطابَ الغدير خطابُ تنصيبٍ ونقلٍ للولاية العامّة في شؤون الدين والدنيا من النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، إلى الإمام علي (عليه السلام)، وهو إنجازٌ بالقولِ، ينتمي إلى التنفيذيّاتِ بحسب تصنيفِ أوستن، والتصريحيّاتِ (الإعلانيّات) بحسبِ تصنيفِ سيرل.

الهوامش:

١- الخلاف حول دلالةِ خطاب الغدير هو خلافٌ في أهم أدلّة الإمامة، التي قال فيها الشهرستاني: " أعظم خلافٍ بين الأمة خلافُ الإمامة؛ إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدةٍ دينيّةٍ مثل ما سُلَّ على الإمامة". الملل والنحل:٢٤.

٢- روى حديث الغدير ونقله أكثر من ١٢٠ صحابي وصحابية، و٨٤ من التابعين، و٣٦٠ من أئمة الحديث وحُفاظه. لذا لا يُعبأ بمن شكك به من المتأخرين زمنًا عنه؛ فحتى البديهيّات العقليّة وجدَ من يشكّك فيها. بل لا تكادُ تجد حقيقةً أو فكرةً في هذا الوجود إلّا وتجد من يناقش ويجادل في صحتها، مهما كانت واضحة؛ لذلك انبرى علماء المسلمين للتصدي لكلّ في طعن أو ضعّف في واقعة الغدير، فكتب الطبري مجلدين ضخمين في طرق حديث الغدير فقط. ينُظر البداية والنهاية: ١١/ ١٤٦.

٣- يُنظر: المعجم الكبير، الطبراني: ٥/ ٢١٢/ رقم الحديث: ٥١٢٨. والبداية والنهاية: ٥/ ٢٢٨. ومجمع الزوائد، الهيثمي:٩/ ١٠٥.

٤- يُنظر: الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٣٣-١٣٨. واليقين باختصاص مولانا علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين: ٣٤٣-٣٤٦. روضة الواعظين، الفتّال النيسابوري: ٨٩- ٩٠.

٥- خصائص الإمام علي:١٥٠/ رقم الحديث:٧٩. ويُنظر: المعجم الكبير:٥/ ٢١٢/ رقم الحديث: ٥١٢٨. والمستدرك على الصحيحينِ: ٢/ ١١٨/ رقم الحديث: ٤٥٧٧.

٦- سنن ابن ماجة: ٣٦/ رقم الحديث: ١١٦.

٧- يُنظر: سنن الترمذي: ج٥/ ١٦٣/ رقم الحديث: ٣٧٨٨.

٨- قدّمَ الدكتور ثروت مرسي دراسةً مفاهيميّة مهمّة عن السياق والمعرفة

المشتركة في المجال التداولي. يُنظرُ كتابه في التداوليّات الاستدلاليّة: ١١٧- ١٤٩.

٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٢/ ٣٦٨.

١٠- بنية النص وتداخل أساليب الخطاب في الحديث النبوي الشريف، لطيفة محمد الفارسي: ٣٩٤

١١- يُنظر: كتاب العين: ٨/ ٣٦٥. حرف الواو، مادة (ولي). ومقاييس اللغة: ٦/ ١٤١. كتاب الواو، باب الواو واللام وما يثلثهما (مادة ولي). والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٢٨. حرف الواو، باب الواو واللام.

١٢- يُنظر: اللغة معناها ومبناها: ٣٩.

١٣- يُنظر: معاني القرآن للنحاس: ٥/ ٣٢٥. وجامع البيان، الطبري: ٢١/ ١٤٦. ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ٣/ ٢٩٧. والكشّاف، الزمخشري: ٣/ ٢٥١.

١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٠/ ٤٤٠/ رقم الحديث: ١٨٤٧٩.

١٥- يُنظر: تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: ٤٢. مشكل الآثار، الطحاوي: ٢/ ٣٠٩. والاعتقاد، البيهقي: ٤١٧. وفيض القدير، المناوي: ٦/ ٢١٨.

١٦- يُنظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلاني: ٤٥٦.

١٧- أودّ أن أنقلَ هنا قصةً طريفةَ لتقريب عدم تعقّل هذا التأويل ومجانبته للصواب، نقلَها الباحثُ الأردني مروان خليفات في تاريخ: ٢٩/ يوليو/ ٢٠٢١م على صفحته الشخصيّة على موقع الفيس بوك، عن الملّا محمّد شريف زاهدي، وهو رجل دينٍ من أهل السُنّة، تشيّعَ، فألّفَ كتابًا سمّاه:(لا بدّ أنْ أتشيّع(، فأوردَ فيه هذه الحكايةَ: في يومٍ من الأيام اتّصلَ بي أحدُ الأصدقاء من زملاءِ الدراسةِ في (معهد الدراسات الشرعية) في بلوشستان. وقد أرادَ أنْ يزورني لمناقشتي، بعدما سمعَ عن توجّهاتي العقائديّة الجديدة؛

حرصًا منه على مصيري الأبدي. فخرجَ من بلدته ليقطعَ مسافة ٢٥٠ كم؛ لهذا الغرض. فجرى بيننا النقاشُ وتركّز أيضًا على معنى (الموالاة والمولى). وكلّما أتيته بدليلٍ قرآنيّ أو روائيّ أو عقليّ لم يقتنعْ. وأخيرًا غادرني وهو يتأسّفُ على حالي! وبعد أكثر من ساعةٍ من مغادرته اتّصلتُ به على هاتفِه، وقلتُ له: "فلان لا بدّ أنْ ترجعَ الآن؛ أريدُك لأمرٍ ضروريّ جدًّا". قال: "سامحَك اللهُ، لقد قطعتُ أكثرَ من نصفِ الطريق، وأهلي بانتظاري، وتريدني أنْ أرجع؟! قلْ ما عندكَ الآن على الهاتف". قلتُ: "لا يمكنُ ذلك، لا بدّ من حضورِك". وبعد إصراري رجعَ إليَّ متذمِّرًا. فلمّا وصلّ، قال: "هات ما عندك، ما هو الأمر الضروري الذي من أجله أرجعتني من مسافة بعيدة في هذا الوقت الحرج؟" قلتُ: " أردتُ فقط إخبارَك أنّني أحبُّك وأودُّك". فصُعِقَ الرجلُ وغضبَ، وقال: " إمّا أنّك مجنونٌ أو أنّك تريدُ إيذائي، ما هذا التصرّفُ الأرعن!". وهنا اقتنصتُ الفرصةَ لأقول: " إنّي أرجعتُ واحدًا فقط، وتتّهمني بالجنون أو الإيذاء! ونبيُّ الرحمةِ يرجعُ عشراتِ الألوف من الناس بعد قطعهم مسافاتٍ طويلةٍ، وفي تلك الظروفِ القاسيةِ؛ لمجرد أنْ يُخبرَهم بحبّهِ لعلِيّ (ع)! أفلا ترى أنَّ المسلمينَ الذين تكبّدوا ذلك العناءَ، يمكنُ أن يَشكُّوا في عقلانيّةِ النبيّ (ص)؟! هنا ذُهِلَ صاحبي، وسكتَ، وتبدّلَ غضبُه إلى حالةٍ من الضحكِ اللامتوازن.

١٨- السنّة، الخلّال: ٢/ ٣٣٦.

١٩- يُنظر: تمهيد الأوائل: ٤٥١.

٢٠- يُنظر: معاني القرآن، الفرّاء: ٣/ ١٣٤. وتفسير غريب القرآن، ابن قتيبة: ٤٥٣.وجامع البيان: ٢٢/ ٤٠٨.

٢١- يُنظر: منهاج السنّة: ٧/ ٣٢٢-٣٢٥.

٢٢- الغريبين: ٦/ ٢٠٣٤. ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٧/ ٢٤٨.

٢٣- يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٢٨.

٢٤- ولمن يبحث عن لفظٍ صريحٍ في الخلافة، فقد روى ابن أبي عاصم في كتابه السُّنّة بسندٍ حسّنه الألباني في تخريجه: عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِعَلِيٍّ: » أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلا أَنَّكَ لَسْتَ نَبِيًّا، إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي«، ظلال الجنّة في تخريج كتاب السُّنّة:٢/ ٥٦٥/ رقم الحديث ١١٨٨. ومن قبله صحّحه الحاكم في المُستدرك: ٣/ ١٤٣/ رقم الحديث: ٤٦٥٢.

٢٥- يُنظر: العثمانية الجاحظ: ١٤٩. وكتاب الأربعين، الرازي: ٣٠٠. ومنهاج السُّنّة: ٧/ ٣٢١.

٢٦- يُنظر: الدر المنثور: ٢/ ٢٩٨. وفتح القدير: ٢/ ٦٠. والكشف والبيان: ٤/ ٩٢. وشواهد التنزيل: ١/ ٢٩٤. وعمدة القاري:١٨/ ٢٠٦.

٢٧- من أمثلة ذلك قصة الحارث بن النعمان الفهري، إذ نقلَ أنّه لّما سمعَ أنّ النبيَّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه)، قال: يا محمّد، أمرتنا عن الله أنْ نشهدَ أنْ لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله، فقبلناهُ منك، وأنْ نصلّي خمسًا فقبلناهُ منك، ونزكّي أموالَنا فقبلناهُ منك، وأنْ نصومَ شهرَ رمضان في كلّ عامٍ فقبلناهُ منك، وأنْ نحجَّ فقبلناهُ منك، ثم لم ترضَ بهذا حتّى فضلّت ابنَ عمّك علينا! أَ فهذا شيءٌ منك أم من الله؟! فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم": (والله الذي لا إلهَ إلّا هو ما هو إلّا من الله "فولّى الحارثُ، وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقولُ محمّدٌ حقًّا، فأمطرْ علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ. فواللهِ ما وصلَ إلى ناقتهِ حتّى

رماهُ الله بحجرٍ، فوقع على دماغِه فخرجَ من دبره، فقتله، فنزلت: (سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ)]سورة المعرج: ١. [يُنظر: الجامع لأحكام القرآن:١٨/ ٢٧٨. تفسير ابن أبي حاتم الرازي: ١٠/ ٣٣٧٣. شواهد التنزيل: ٢/ ٣٨١/ رقم الحديث: ١٠٣٠.

٢٨- وفي ذلك روي أنّ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلِه) لمّا أُمِرَ أنّ يبلغ الناسَ بتولية عليّ (عليه السلام)، قال: (يا ربّ إنّ قومي قريبو عهدٍ بالجاهليّة، وفيهم تنافسٌ وفخرٌ، وما منهم رجلٌ إلاّ وقد وتره وليهم، وإنّي أخاف ـ أي من تكذيبهم ـ فأنزل اللهّ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾. يُنظر: شواهد التنزيل: ١/ ١٩٢، الدر المنثور: ٢/ ٢٩٨.

٢٩- يُنظر: في التداوليّات الاستدلاليّة: ١٨٨- ١٨٩. ونظريّة الفعل الكلامي: ١٢٥- ١٢٦. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨١-٨٣.

المصادر والمراجع:

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

٢- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري)، تعليق وتحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، مطابع النعمان النجف الأشرف ط١، ١٩٦٦م.

٣- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ.

٤- بنية النص وتداخل أساليب الخطاب في الحديث النبوي الشريف، لطيفة محمد الفارسي، دار كنوز المعرفة، عمّان- الأردن، ط١، ١٤٤٣ه- ٢٠٢٢م.

٥- تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦- تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٧- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين

القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٠- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، المحقّق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا - الكويت، ط١٤٠٦،١هـ.

١١- الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.

١٢- روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (الشهيد في سنة ٥٠٨ هـ) المقدمة العلامة الجليل السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسان منشورات الرضي قم - إيران. د. ط. ت.

١٣- السنّة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت ٣١١هـ) تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية - الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٤- سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ط.ت.

١٥- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٦- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحافظ الكبير عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (ت ٤٨١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

١٧- العثمانية، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط. ت.

١٩- الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط١، ١٤١٤هـ.

٢١- في التداوليّات الاستدلاليّة قراءة تأصيليّة في المفاهيم والسيرورات التأويليّة، ثروت مرسي، دار كنوز المعرفة، عمّان- الأردن، ط١، ١٤٣٩- ٢٠١٨م.

٢٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ط١، ١٣٥٦هـ.

٢٣- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت

٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٢٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٥- كتاب الأربعين في أصول الدين، محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي (ت:٦٠٤هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقّا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٦- كتاب السُّنّة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٧- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط. ت.

٢٨- اللغة معناها ومبناها، تمّام حسّان، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حقّقهُ وخرَّجَ أحاديثَه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدّم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٠- المستدرك على الصحيحينِ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت،

ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.

٣١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٢- مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.

٣٣- معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٤- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط١.

٣٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، ١٩٨٣.

٣٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) عالم الكتب، بيروت ط٣، ١٤٠٣هـ.

٣٧- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨- منهاج السنة النبويّة في نقض

كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٩- نظريّة الفعل الكلامي، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلميّة - بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤١- اليقين باختصاص مولانا علي (ع) بإمرة المؤمنين، السيد رضي الدين علي بن الطاووس الحلي (ت٦٦٤ هـ)، تحقيق: الأنصاري، مؤسسة الثقلين لإحياء التراث الإسلامي، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر قم - إيران، ١٤١٣ه.